التوحيد

قطر الغيث

في شرح مسائل أبي الليث

للعالم العلامة الحبر البحر الفهامة

الشيخ محمد نووي بن عمر الجاوي الشافعي

وبهامشه مسائل أبي الليث المذكورة

طبعة جديدة مصححة ومنقحة ومحققة

ضبطه وعلق عليه

علوي أبو بكر محمد السقاف

عضو لجنة البحث والدراسة والتحقيق

التابعة لدار الكتب الإسلامية

دار الكتب الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

قطر الغيث

في شرح مسائل أبي الليث

دار الكتب العلمية

قطر الغيث

في شرح مسائل أبي الليث

للعالم العلامة الحبر البحر الفهامة الشيخ محمد نووي الجاوي الشافعي

المتوفى سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٧ م

طبعة جديدة مصححة ومنقحة ومحققة

ضبطه وعلق عليه

علوي أبو بكر محمد السقاف
عضو لجنة البحث والدراسة والتحقيق
التابعة لدار الكتب الإسلامية

دار الكتب الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

جميع الحقوق الملكية والأدبية محفوظة للناشر.

يمنع طبع هذا الكتاب كله أو جزء منه بكل طرق الطبع أو التصوير أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية، كما تمنع الترجمة إلاّ بإذن خطي من الناشر.

ALL RIGHTS RESERVED

No part of this publication may be translated, reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic mechanical, photocopying, recording or otherwise without the prior written permission of the publisher.

HAK CIPTA DILINDUNGI UNDANG-UNDANG

Dilarang mereproduksi buku ini dalam bentuk apapun, sebagian atau seluruhnya, dengan cara mencetak, mengcopy atau memindahkan ke dalam komputer dan CD, sebagaimana dilarang menerjemahkannya tanpa izin tertulis dari penerbit.

Trademark Nr. : IDM000344178

ISBN : 978 - 602 - 0879 - 29 - 1

DAR AL-KUTUB AL-ISLAMIYAH
Printers, Publishers & Distributors

JL. KALIBATA TIMUR I / 61 - JAKARTA 12740 - INDONESIA
PHONE : (021) 79197125 - 79197126 FAX : (021) 79197127
website : www.dkislamiyah.co.id e-mail : info@dkislamiyah.co.id

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله الواحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يلد ولم يكن كفوًا أحد؛ والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى أله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فهذا كتاب قطر الغيث للشيخ محمد نووي بن عمر الجاوي الشافعي الأشعري، فهو شرح موجز لكنه شافٍ وكافٍ لمسائل أبي الليث السمرقندي المتعلقة بالإيمان. فهو كتاب العقيدة في صورة س و ج أي سؤال وجواب، قلما نجد مثله في كتب السلف.

تسر دار الكتب الإسلامية أن تقدم بعد الكتاب النافع بهذه الطبعة الجديدة التي تمتاز بجودة الضبط وجمال الطبع وحسن الترتيب. ومن أجل إتمام النفع والانتفاع ضبطنا ضبطًا كاملاً كل الآيات القرآنية الواردة وكذلك الأحاديث النبوية.

ترجو دار الكتب الإسلامية أن ينفع به المسلمين النفع العميم، وأن يجعل سعينا خالصًا لوجه الله الكريم، إنه هو السميع العليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الناشر

جاكرتا، محرم ١٤٣٢ هـ
يناير ٢٠١١ م

ترجمة موجزة عن حياة المؤلف

الشيخ محمد نووي بن عمر الجاوي الشافعي

هو أبو عبد المعطي العلامة الشيخ محمد نووي بن عمر بن عربي بن علي التناري البنتني الجاوي الشافعي المذهب الأشعري الاعتقاد. ولد بقرية تنارا من عوامل بنتن بجاوى الغربية سنة ١٢٣٠ هـ الموافق سنة ١٨١٣ م، في أسرة عريقة معروفة بالدعوة الإسلامية. سماه والداه بمحمد نووي أخذًا في الجزء الأول من اسم سيد الأنبياء والمرسلين صاحب الرسالة الحنيفة محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه، وفي الجزء الثاني من اسم شيخ الإسلام ولي الله محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ثم الدمشقي صاحب المناقب الكريمة محرر المذهب ومهذبه ومحققه ومرتبه، إمام أهل عصره علمًا وعبادة وسيد آوانه ورعًا وسيادة.

ذكر صاحب كشف الظنون عددًا من تصانيفه التي بلغت بضعًا وتسعين كتبًا في أصناف العلوم والفنون من التفسير والحديث ومصطلحه والفقه وأصوله والتوحيد والتصوف والنحو والصرف وتصريفه، معظمها مطبوعة، فذاع صيته في البلدان وملأ اسمه من خلال تصانيفه الآذان وابتل من ذكر اسمه اللسان وإن لم تر صاحبَه العينان.

وقد نال كتابه " التفسير المنير لمعالم التنزيل المسفر عن وجوه محاسن التاويل " المسمى مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد محل إعجاب علماء مصر الصادقة فدعوه إلى مصر فأكرموا مثواه وقدروا نزله وأنالوه رتبة الشرف " سيد علماء الحجاز ". ومع همته العظيمة في الحصول على العلوم الدينية ورتبته الشريفة في العلم فقد كان الشيخ رجلاً سخيًّا تقيًّا زاهدًا متواضعًا لين الجانب محبًّا للفقراء والمساكين حبه للعلماء العاملين. رحم الله الشيخ الجاوي وغفر، اختاره الله لجواره وهو قائم بين دفتي كتاب منهاج الطالبين للنووي ناويًا شرحه وحل ألفاظه، ولم يتم بعد مما نواه فقد توفاه الله في أواخر شوال سنة ١٣١٤ هـ الموافق سنة ١٨٩٧ م بمكة المكرمة، ودفن بمعلى قريب مرقده من مرقد سيدة النساء أسماء بنت أبي بكر الصديق ومن مرقد خاتمة المحققين ابن حجر الهيتمي الشافعي، تغمد الله الجميع برحمته وأسكنهم فسيح جنته، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والإيمان وخص بعض عباده بالطاعات وبعضهم بالعصيان والصلاة والسلام على أفضل الرسل سيد ولد آدم سيدنا محمد وآله وأصحابه وأزواجه وذريته عدد ما جرى به القلم.

أما بعد: فيقول مرتكب الذنوب محمد نووي بن عمر بن عربي الشافعي: هذا شرح عن مسائل الشيخ الإمام أبي الليث المحدث المفسر المعروف بإمام الهدى نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم الحنفي السمرقندي[1] يوضح معانيها ويشيد مبانيها، وسميته: " قطر الغيث في شرح مسائل أبي الليث ".

والله أسأل أن ينفع به كل من تلقاه بقلب سليم وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم إنه الرءوف الرحيم.

(بسم الله الرحمن الرحيم) فاسم الجلالة ليس بمشتق ولا منقول، وأل فيه زائدة لازمة لا للتعريف، بل وضع كذلك. وهو اسم جامع لجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العليا؛ والرحمن كثير الرحمة بالنعم العظيمة، والرحيم كثير الرحمة بالنعم الصغيرة؛ وتخصيص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق بأن يستعان به في جميع الأمور هو المعبود الحقيقي معطي النعم كلها جليلها وحقيرها:

---

(١) أبو الليث السمرقندي (٣٧٣ هـ / ٩٨٣م) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى: علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها: (تفسير القرآن) أجزاء متفرقة منه وهو غير كبير، و(عمدة العقائد)، و(بستان العارفين) في التصوف، سماه: البستان، و(خزانة الفقه) رسالة، و(تنبيه الغافلين) في المواعظ، و(فضائل رمضان)، و(المقدمة) في الفقه، و(شرح الجامع الصغير) في الفقه، و(عيون المسائل) فتاوى وتراجم، و(دقائق الأخبار في بيان أهل الجنة وأهوال النار)، و(مختلف الرواية) في الخلافيات بين أبي حنيفة ومالك والشافعي، و(شرعة الإسلام) في الفقه، و(النوازل من الفتاوى)، و(تفسير جزء عم يتساءلون) موجز، ورسالة في أصول الدين.

الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ.

وإنما افتتح المصنف كتابه هذا بالبسملة اقتداء بالكتب السماوية، وعملاً بالأحاديث المروية كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إِذَا كَتَبَ الْعَبْدُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فِي لَوْحٍ أَوْ فِي كِتَابٍ، فَإِنَّهُ تَكْتُبُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ الْأَجْرَ وَتَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ ذٰلِكَ الِاسْمُ فِي اللَّوْحِ أَوِ الْكِتَابِ ».

(الحمد لله رب العالمين) أي مالك جميع المخلوقات. (والعاقبة) أي الأجر المحمود (للمتقين) أي عقاب الله تعالى بترك المعاصي. (والصلاة) أي زيادة الرحمة من الله تعالى المقرونة بالتعظيم (والسلام) أي التحية من الله تعالى (على سيدنا محمد) هو ابن عبد الله أكمل الخلق خَلْقًا وخُلُقًا، مبعوث في مكة، ومدفون في المدينة المشرفة. (وآله) أي أعوانه[1] من أهل الإيمان (وأصحابه) وهم الذين اجتمعوا به ﷺ في حياته، بعد نبوته، مؤمنين به. والصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهم أحياء: مائة ألف صحابي وأربعة وعشرون ألفًا رضي الله عنهم أجمعين، كعدد الأنبياء وعدد أولياء كل عصر.

---

(١) وفي كاشفة السجا شرح على سفينة النجا للمؤلف: قوله: (وآله) هم جميع أمة الإجابة، لخبر: «آلُ مُحَمَّدٍ كُلُّ تَقِيٍّ» أخرجه الطبراني. وهو أنسب بمقام الدعاء ولو عاصين، لأنهم أحوج إلى الدعاء من غيرهم؛ وأما في مقام الزكاة فالمراد بالآل: هم بنو هاشم وبنو المطلب.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: مَا ٱلإِيمَانُ؟ (فالجواب): آمَنْتُ بِٱللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ، وَٱلْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَى.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَيْفَ تُؤْمِنُ بِٱللَّهِ؟ (فالجواب): إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى أَحَدٌ .....

مسئلة: (إذا قيل لك): يا مؤمن، (ما الإيمان) أي ما متعلقات حقيقة الإيمان الذي هو التصديق؟ (فالجواب) أن تقول: (آمنت) أي صدقت وأقررت (بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر) بفتح الدال (خيره وشره من الله تعالى) وهذا كما رواه مسلم عن سيدنا عمر من حديث جبريل، وإن أخذت من رواية البخاري عن أبي هريرة من حديث جبريل أيضًا فتقول: « آمنت بالله وملائكته وبلقائه ورسله وبالبعث ». والمعنى: صدقت بوجود الله وبصفاته الواجبة له، وبوجود الملائكة وأنهم عباد مكرمون، وبرؤيته تعالى في الآخرة للمؤمن، وبأن رسله صادقون فيما أخبر وأنه عن الله تعالى، وبالبعث من القبور.

قال بعضهم: من تعلم في الصغر " آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقدره خيره وشره من الله تعالى " وعلم أن ذلك إيمان، إلا أنه لا يحسن تفسيره، فلا يحكم بإيمانه. وقال بعضهم: إيمان شخص حال يأس أي وقت سكرات الموت عند رؤية مكانه في الجنة أو في النار غير مقبول، لعدم الإتيان بالمأمور به عن اختيار، فإن العبد يرى مكانه في ذلك الوقت كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إِنَّ الْعَبْدَ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَرَى مَوْضِعَهُ فِي الْجَنَّةِ أَوْ فِي النَّارِ »؛ بخلاف توبة اليائس، فإنها مقبولة بعد صحة إيمانه، لما روي عن ابن عمر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ » أي ما لم تبلغ روحه الحلقوم.

واعلم الإيمان بالله على ثلاثة أقسام: إيمان تقليدي، وإيمان تحقيقي، وإيمان استدلالي. فالتقليدي هو: أن يعتقد بوحدانية الله تعالى تقليدًا بقول العلماء من غير برهان؛ وهذا لا يأمن من التزلزل بتشكيك مُشَكِّكٍ. والحقيقي هو: أن يطوي قلبه على وحدانية الله تعالى، بحيث لو خالفه أهل العالم فيما طوى عليه قلبه، لما وجد في قلبه زلة. والاستدلالي هو: أن يستدل من المصنوع على الصانع، ومن الأثر على المؤثر. فالأثر يدل على المؤثر، والبناء يدل على الباني، والمصنوع يدل على الصانع، والبعرة تدل على البعير مثلاً، إذ الأثر بلا مؤثر محال.

مسئلة: (إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالله)؟ (فالجواب) أن تقول: (إن الله تعالى أحد) أي

حَيٌّ عَالِمٌ قَادِرٌ مُرِيدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ بَاقٍ خَلاَّقٌ رَزَّاقٌ .....

منفرد بالصفات لا مشارك له، واحد أي منفرد بالذات لا شريك له. (حي) بحياة قديمة قائمة بالذات لا بروح. (عالم) بعلم قديم قائم بالذات، محيط بالواجب والجائز والمستحيل. (قادر) بقدرة قديمة قائمة بالذات، لا بمعالجة ولا واسطة، لا يلحقها عجز عامة التعلق للممكنات. (مريد) بإرادة قديمة قائمة بالذات عامة التعلق للممكنات. (سميع) أي مدرك المسموعات بسمع قديم بالذات. (بصير) أي مدرك المبصرات حال وجودها ببصر قديم قائم بالذات. (متكلم) بكلام قديم باق قائم بالذات، ليس بحرف ولا صوت، فلا يسبقه عدم ولا يلحقه عدم؛ متعلق بالواجب كقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَٱعْبُدْنِي ﴾ (١) وبالمستحيل كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ﴾ (٢) وبالجائز كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُوْنَ ﴾ (٣) والصحيح أن مدلول الألفاظ التي تقرؤها متعلقات الكلام النفسي القديم، كما قاله ابن قاسم، واتفق على ذلك جميع المتأخرين.

وإن سُئِلْتَ عن القرآن، هل هو قديم أو حادث؟ فينبغي لك أن تستفسر السائل، فإن قال لك: مرادي القائم بذاته تعالى الدال عليه ما بيننا، فقل: هو قديم بقدم الذات، لأنه من جملة صفاتها الواجبة لها؛ وإن قال لك: مرادي ما بين الدفتين من النقوش، فقل له: ذلك حادث بحدوث النقوش وكذلك الألفاظ؛ وإن قال لك: مرادي من حيث المدلول، فقل له: إن ما دل على ذاته أو صفة من صفاته أو حكاية له تعالى هو قديم، وما دل على الحوادث أو صفاتها مثل ذوات المخلوقات أو صفاتها كجهلنا وعلمنا هو حادث، وكذلك حكايات الحوادث، وسميت تلك العبارات بكلام الله فإنها دالة على كلام الله تعالى، فإن معناه: إنما يُتَفَهَّمُ بها، فإن عبر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبر عنه بالعبرية وهو لغة اليهود فهو توراة، وإن عبر عنه بالسريانية فهو إنجيل وزبور؛ واختلاف العبارات لا تستلزم اختلاف الكلام، كما أن الله يسمى بعبارات مختلفة مع أن ذاته تعالى واحدة.

(باق) بذاته العليا، أي دائم الوجود لا يقبل الفناء. (خلاق) أي كثير إظهار الموجودات بقدرته، وكثير تقدير كل واحد بمقدار مُعَيَّنٍ بإرادته. (رزاق) أي خالق الأرزاق أو المرتزقة

(١) سورة طه [٢٠] الآية: ١٤

(٢) سورة المائدة [٥] الآية: ٧٣

(٣) سورة الصافات [٣٧] الآية: ٩٦

رَبٌّ وَمَالِكٌ بِلاَ شَرِيكٍ وَلاَ ضِدٍّ وَلاَ نِدٍّ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَيْفَ تُؤْمِنُ بِالْمَلاَئِكَةِ؟ (فالجواب): إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ أَصْنَافٌ، ...

وموصلها إليهم. واسم الرزق لا يختص بالمأكول والمشروب، بل كل ما انتفع به الحيوان من مأكول ومشروب وملبوس وغيرها؛ ومن أعظم الرزق التوفيق للطاعات. والرزق قسمان: ظاهر وهو الأقوات والأطعمة وذلك للأبدان، وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والأسرار. واعلم أنه تعالى يوصل الرزق إلى جميع مخلوقاته، وإن من أسباب سعة الرزق كثرة الصلاة لقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [١] والصلاة والسلام على النبي ﷺ والاستغفار.

(رب) ومعناه: معبود، ومنه قولك: ربنا الله. (ومالك) ومنه قوله تعالى: ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [٢]. (بلا شريك) أي شبيه له أي في الربوبية (ولا ضد) أي لا نظير (ولا ند) أي مماثل. والفرق بين الشبيه والنظير والمماثل: أن النظير ما يساوي ولو في وجه، والشبيه ما يساوي أكثر الوجوه، والمماثل ما يساوي في جميع الوجوه. قال البراوي: [٣] ولا يجوز البحث عن ذات الله تعالى ولا عن صفاته، لأن ترك الإدراك إدراك، والبحث في ذات الله تعالى إشراك، وكل ما خطر ببالك من صفات الحوادث، فالله بخلاف ذلك.

فائدة: من ترك أربع كلمات كمل إيمانه: أين، وكيف، ومتى، وكم. فإن قال لك قائل: أين الله؟ فجوابه: ليس في مكان، ولا يمر عليه زمان؛ وإن قال لك: كيف الله؟ فقل له: ليس كمثل شيء؛ وإن قال لك: متى الله؟ فقل له: أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء؛ وإن قال لك: كم الله؟ فقل له: واحد لا من قلة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ انتهى.

مسألة: (إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالملائكة)؟ (فالجواب) أن تقول: (إن الملائكة أصناف) أي أنواع كثيرة في أحوالهم وأفعالهم وأشكالهم.

---

(١) سورة طه [٢٠] الآية: ١٣٢

(٢) سورة الرعد [١٣] الآية: ١٦. هكذا في النسخ، ولعل صوابه: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ ﴾ الخ. اهـ مصححه.

(٣) البراوي (١١٨٢ هـ / ١٧٦٨م) عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيري البراوي الأزهري: فاضل مصري، من فقهاء الشافعية. تعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة. له كتب، منها: (التيسير لحل ألفاظ الجامع الصغير)، و(حاشية على شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني)

فَمِنْهُمْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَمِنْهُمْ حَافُونَ، وَمِنْهُمْ رُوحَانِيُّونَ، وَمِنْهُمْ كَرُوبِيُّونَ، .....

(فمنهم حملة العرش) وهم أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودًا، وهم في الدنيا أربعة وفي يوم القيامة ثمانية، على صورة الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عامًا، للطائر المسرع، وأما صفة العرش فقيل: أنه جوهرة خضراء، وهو من أعظم المخلوقات خلقًا، ويكسى كل يوم ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة. وقيل: إن العرش قبلة أهل السماء، كما أن الكعبة قبلة أهل الأرض.

(ومنهم حافون) قال وهب بن منبه:[1] إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صف خلف صف يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء، فإذا استقبل بعضهم بعضًا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء، ومن ورائهم سبعون ألف صف، قيام أيديهم إلى أعناقهم، واضعين لها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ مَا أَعْظَمَكَ وَأَحْلَمَكَ، أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ، أَنْتَ الأَكْبَرُ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ لَكَ رَاجِعُونَ. ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة، قد وضعوا اليمنى على اليسرى، ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثمانمائة عام، وما بين شحمتي أذن أحدهم إلى عاتقه أربعمائة عام. واحتجب الله عن الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابًا من نور، وسبعين حجابًا من ظلمة، وسبعين حجابًا من در أبيض، وسبعين حجابًا من ياقوت أحمر، وسبعين حجابًا من زبرجد أخضر، وسبعين حجابًا من ثلج، وسبعين حجابًا من ماء، وسبعين حجابًا من بَرَدٍ، وما لا يعلمه إلا الله.

(ومنهم روحانيون) قيل: هم في أرض بيضاء كالرخام، عرضها مسيرة الشمس أربعين يومًا، طولها لا يعلمه إلا الله؛ ولهم زجل بالتسبيح والتهليل، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من هول صوته، منتهاهم إلى حملة العرش. (ومنهم كروبيون) بفتح الكاف وتخفيف الراء هم: سادات الملائكة، وهم الذين حول العرش.

---

(١) وهب بن منبه (٣٤ ـ ١١٤ هـ / ٦٥٤ ـ ٧٣٢م) وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. وكان يقول: سمعت اثنين وتسعين كتابًا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل، ووجدت في كلها: أن من أضاف إلى نفسه شيئًا من المشيئة فقد كفر.

وَمِنْهُمْ سَفَرَةٌ أَيْ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَعَزْرَائِيلُ، وَمِنْهُمْ حَفَظَةٌ، وَمِنْهُمْ كَتَبَةٌ، ....

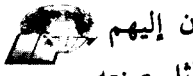

(ومنهم سفرة) أي وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين، يبلغون إليهم رسالته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه. والسفرة هنا جمع سفير بمعنى: رسول، وليس جمع سافر بمعنى: كاتب، لأن المصنف فسرها بهؤلاء الأربعة. (أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل) بفتح العين. فجبريل نازل على جميع الأنبياء، وميكائيل وكيل الأمطار، وإسرافيل وكيل نفخ الصور، ينفخ فيموت الخلق وينفخ لإحياء الخلق فترجع الأرواح لأجسادها، وعزرائيل وكيل قبض الأرواح، فإذا حضر أجل العبد أمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض روح ذلك العبد. ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده، فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه. وخروج الروح يكون من اليافوخ كما أن دخولها في البدن منه؛ وأما فتح المُحْتَضِر فمه عند خروجها فقيل لشدة ما يراه من الأهوال؛ واليافوخ هو الموضع الذي يتحرك في رأس الطفل.

(ومنهم حفظة) قال محمد الخليلي: روي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: كم من ملك على الإنسان؟ فقال: « عِشْرُونَ مَلَكًا، مِنْهُمْ مَلَكٌ عَنْ يَمِينِكَ عَلَى حَسَنَاتِكَ، وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ. فَإِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً قَالَ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ لِلَّذِي عَلَى الْيَمِينِ: أَأَكْتُبُ؟ فَيَقُولُ: دَعْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ، لَعَلَّهُ يَتُوبُ. فَإِذَا لَمْ يَتُبْ قَالَ: نَعَمْ اكْتُبْ، أَرَاحَنَا اللَّهُ مِنْهُ. فَاسْمُ الْمَلَكِ الَّذِي عَلَى الْيَمِينِ: رَقِيبٌ، وَهُوَ الَّذِي يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ؛ وَاسْمُ الْمَلَكِ الَّذِي عَلَى الشِّمَالِ: عَتِيدٌ، وَهُوَ الَّذِي يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ. وَمَلَكَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَمَلَكٌ قَابِضٌ عَلَى نَاصِيَتِكَ، إِذَا تَوَاضَعْتَ لِلَّهِ تَعَالَى رَفَعَكَ، وَإِذَا تَجَبَّرْتَ عَلَى اللَّهِ قَصَمَكَ. وَمَلَكَانِ عَلَى شَفَتَيْكَ، لَيْسَ يَحْفَظَانِ عَلَيْكَ إِلاَّ الصَّلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَمَلَكٌ عَلَى فِيكَ، لاَ يَدَعُ الْحَيَّةَ أَوِ الْهَوَامَّ تَدْخُلُ فِي فِيكَ. وَمَلَكَانِ عَلَى عَيْنَيْكَ، وَيُقَالُ: إِنَّ اسْمَهُمَا شوية. فَهَؤُلاَءِ عَشَرَةُ أَمْلاَكٍ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ، فَتَنْزِلُ مَلاَئِكَةُ اللَّيْلِ عَلَى مَلاَئِكَةِ النَّهَارِ، فَهَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ عِشْرُونَ مَلَكًا عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ ».

(ومنهم كتبة) وهم الذين ينسخون من اللوح المحفوظ، وهم الملائكة الكرام الكاتبون. ومنهم أصحاب أجنحة: جناحين جناحين لكل واحد منهم، وثلاثة ثلاثة لصنف آخر منهم،

وَكُلُّهُمْ مَخْلُوقُونَ عَبِيدُ ٱللَّهِ، لاَ يُوصَفُونَ بِذُكُورَةٍ وَلاَ بِأُنُوثَةٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ شَهْوَةٌ وَلاَ نَفْسٌ، وَلاَ أَبٌ وَلاَ أُمٌّ، .....

وأربعة أربعة لصنف آخر منهم، ويزيد الله في خلق الأجنحة في غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته.

تنبيه: قوله حملة وسفرة وحفظة وكتبة بفتح أحرفها الثلاثة وهي جمع: حامل وسفير وحافظ وكاتب.

(وكلهم مخلوقون) أي موجودون بإيجاد الله إياهم كغيرهم. (عبيد الله) فلا يقولون شيئًا حتى يقوله، كما هو شأن العبيد المؤدبين. (لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة) فمن اعتقد أنوثة الملائكة أو خنوثتهم فهو كافر بالاتفاق، ومن اعتقد ذكورتهم فهو فاسق.[1] (وليس لهم شهوة) أي اشتياق النفس (ولا نفس).

فالنفس سبع مراتب: أمارة، ومحلها: الصدر، وجنودها: البخل، والحرص، والحسد، والجهل، والكبر، والشهوة، والغضب؛ ثم لوامة، ومحلها: القلب وهو تحت الثدي الأيسر بقدر أصبعين، وجنودها: اللوم، والهوى، والمكر، والعجب، والغيبة، والرياء، والظلم، والكذب، والغفلة؛ ثم ملهمة، ومحلها: الروح وهو تحت الثدي الأيمن بقدر أصبعين، وجنودها: السخاوة، والقناعة، والحلم، والتواضع، والتوبة، والصبر، والتحمل؛ ثم مطمئنة، ومحلها: السر وهو في جانب الثدي الأيسر بقدر أصبعين إلى جهة الصدر، وجنودها: الجود، والتوكل، والعبادة، والشكر، والرضا، والخشية؛ ثم راضية، ومحلها: سر السر ولعل المراد بها القالب بالألف بعد القاف وبفتح اللام وهو جميع الجسد، وجنودها: الكرم، والزهد، والإخلاص، والورع، والرياضة، والوفاء؛ ثم مرضية، ومحلها: الخفي وهو في جانب الثدي الأيمن بقدر أصبعين إلى أوسط الصدر، وجنودها: حسن الخلق، وترك ما سوى الله، واللطف بالخلق، وحملهم على الصلاح والصفح عن ذنوبهم وحبهم، والميل إليهم لإخراجهم من ظلمات طبائعهم وأنفسهم إلى أنوار أرواحهم؛ ثم كاملة، ومحلها: الأخفى وهو وسط الصدر، وجنودها: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

(ولا أب ولا أم) فإنهم أجسام نورانية أي مخلوقة من نور غالبًا، وقد يكون بعضهم

---

(١) قال البيجوري في شرح جوهرة التوحيد: ومن وصفهم بأنوثة كفر، لمعارضته قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [سورة الزخرف (٤٣): ١٩] وأولى بالكفر من قال: خنثى.

وَلاَ يَشْرَبُونَ وَلاَ يَأْكُلُونَ، وَلاَ يُعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَمَحَبَّتُهُمْ شَرْطُ ٱلإِيمَانِ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَيْفَ تُؤْمِنُ بِالْكُتُبِ؟ (فالجواب): إِنَّ ٱللَّهَ أَنْزَلَ الْكُتُبَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ، وَهِيَ مُنَزَّلَةٌ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، قَدِيمَةٌ بِغَيْرِ تَنَاقُضٍ؛ .....

مخلوقًا من القطرات التي تقطر من جبريل بعد اغتساله من نهر تحت العرش، وهم قادرون على التشكل بإشكال مختلفة. (ولا يشربون ولا يأكلون) ولا ينامون، ودليل كونهم لاينامون قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَيَفْتُرُونَ ﴾ [١] فالنوم فتور يعتري الإنسان، ولا يفقد معه عقله. (ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٢] أي من الطاعة والتدبير، وقال تعالى: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لاَيَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [٣] أي بل الملائكة عباد من عباده تعالى، مكرمون بالعصمة من الزلل، لا يسبقون إذنه تعالى بالقول، وهم بأمره تعالى إذا أمرهم يعملون لأنهم في غاية المراقبة له تعالى، فجمعوا في الطاعة بين القول والفعل وذلك غاية الطاعة. (ومحبتهم) بالقلب (شرط) صحة (الإيمان، وبعضهم كفر) لقوله تعالى: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾. [٤]

مسألة: (إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالكتب)؟ (فالجواب) أن تقول: (إن الله أنزل الكتب على أنبيائه، وهي) أي الكتب (منزلة) على الرسل في الألواح أو على لسان ملك (غير مخلوقة) أي إن الكتب المنزلة من تأليفه تعالى لا من تأليف الخلق. (قديمة) من حيث دلالتها على المعنى القديم (بغير تناقض) أي اختلاف في معنى الكلام. والتناقض بأن يكون بعض الكلام في محل يقتضي إبطال بعض في محل آخر. قال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ﴾ [٥] أي أفلا يتفكرون في القرآن، ولو كان من كلام البشر لوجدوا فيه تناقضًا في معانيه وتَبَايُنًا في نظمه، بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع، وبعض نظمه فصيحًا وبعضه ركيكًا. أي ولو كان من عند غير الله للزم أن

---

(١) سورة الأنبياء [٢١] الآية: ٢٠
(٢) سورة النحل [١٦] الآية: ٥٠
(٣) سورة الأنبياء [٢١] الآية: ٢٦-٢٧
(٤) سورة البقرة [٢] الآية: ٢٨٥
(٥) سورة النساء [٤] الآية: ٨٢

وَمَنْ شَكَّ فِيهَا مِنْ آيَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ فَقَدْ كَفَرَ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَمْ كِتَابًا أُنْزِلَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ؟ (فالجواب): مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ أَنْزَلَ ٱللَّهُ، مِنْهَا عَشْرُ كُتُبٍ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا خَمْسِينَ كِتَابًا عَلَى شِيثٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا ثَلَاثِينَ كِتَابًا عَلَى إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا عَشْرَ كُتُبٍ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى ٱلْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، .....

يكون فيه اختلاف كثير، فضلاً عن القليل؛ لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف، لا كثير ولا قليل. (ومن شك فيها) أي في الكتب المنزلة على الرسل بأن لم يؤمن بشيء منها (من آية أو كلمة فقد كفر).

مسألة: (إذا قيل لك: وكم كتابًا أنزل على أنبيائه) أي المرسلين؟ فكم اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم، وكتابًا تمييز. (فالجواب) أن تقول: هو في رواية: (مائة كتاب) بالإفراد (وأربعة كتب) بالجمع المكسر. (أنزل الله منها) أي من المائة والأربع (عشر كتب على) صفي الله أبي البشر (آدم عليه السلام، وأنزل الله تعالى منها خمسين كتابًا على شيث عليه السلام) فشيث بالشين ثم المثلثة، وقيل: بالمثناة الفوقية بينهما ياء، والأكثر صرفه وقد لا يصرف، ومعناه: هبة الله، وقيل: عطية الله. وهو ابن آدم لصلبه، كان من أجمل أولاده وأفضلهم وأشبههم بأبيه وأحبهم إليه، وعاش سبعمائة واثنتي عشرة سنة. (وأنزل الله تعالى منها ثلاثين كتابًا على إدريس) جد أبي نوح (عليه السلام) واسمه: أخنوخ بفتح الهمزة وسكون الخاء، أو خنوخ بفتح الخاء مع حذف الهمزة. قيل سمي إدريس لكثرة درسه الكتب. وهو أول من خط بالقلم، ونظر علم النجوم والحساب، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار. (وأنزل الله تعالى منها عشر كتب على إبراهيم عليه السلام) وقيل: إن في صحف إبراهيم هذه الكلمات: ينبغي للعاقل أن يكون حافظًا للسانه، عارفًا بزمانه، مقبلاً على شأنه.

(وأنزل الله تعالى الإنجيل) جملة (على عيسى) بن مريم (عليه السلام، وأنزل الله تعالى التوراة) جملة (على موسى) بن عمران (عليه السلام) قال بعضهم: التوراة والإنجيل اسمان عِبْرَانِيَّانِ، وقيل: سِرْيَانِيَّانِ كالزبور. وقيل: سميت التوراة بذلك، لأن فيها نورًا يخرج به من الضلال إلى الهدى، كما يخرج بالنار من الظلام إلى النور؛ وقيل: سميت بذلك، لأن أكثرها

وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى الزَّبُورَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَيْفَ تُؤْمِنُ بِالْأَنْبِيَاءِ؟ (فالجواب): إِنَّ أَوَّلَ ٱلْأَنْبِيَاءِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، كُلُّهُمْ كَانُوا مُخْبِرِينَ .....

تلويحات ومعاريض. وقال بعضهم: سمي الإنجيل بذلك، لأن فيه توسعة لم تكن في التوراة، إذ حُلِّلَ فيه أشياء كانت محرمة في التوراة؛ وقيل: سمي بذلك، لاستخراجه خلاصة نور التوراة. (وأنزل الله تعالى الزبور على داود) بن إيشا (عليه السلام) وهو من أتباع موسى وبعده بأزمان متطاولة. (وأنزل الله تعالى القرآن) مُنَجَّمًا مُفَرَّقًا في ثلاث وعشرين سنة، بعد أن كتب في صحف، وأنزل دَفْعَةً واحدة في ليلة القدر في بيت العزة، وهو محل في سماء الدنيا. وسمي القرآن فرقانًا لفرقه بين الحق والباطل، ولكونه منجمًا ومفرقًا في سنين كثيرة؛ وسمي قرآنًا، لأنه قام مقام التوراة والإنجيل والزبور في كثرة القراءة. (على محمد المصطفى) أي المختار ﷺ وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من أولاد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

وذلك ما روي عن أُبَيّ بن كعب أنه سأل رسول الله ﷺ: كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ فقال: « مِائَةً وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، مِنْهَا عَلَى آدَمَ عَشْرُ صُحُفٍ، وَعَلَى شِيثٍ خَمْسُونَ صَحِيفَةً، وَعَلَى أَخْنُوخٍ وَهُوَ إِدْرِيسُ ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرُ صَحَائِفَ، وَالتَّوْرَاةُ، وَالْإِنْجِيلُ، وَالزَّبُورُ، وَالْفُرْقَانُ » كما ذكره الشربيني [1] في تفسيره؛ والحق عدم حصر الكتب في عدد مُعَيَّنٍ لكثرة اختلاف الروايات، بل الواجب أن يعتقد أن الله تعالى أنزل كتبًا من السماء ويعرف الكتب الأربعة .

مسألة: (إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالأنبياء)؟ (فالجواب) أن تقول: (إن أول الأنبياء آدم عليه السلام) وهو اسمه الشريف، وكنيته: أبو البشر، ولقبه: صفي الله. (وآخرهم) وأفضلهم سيدنا (محمد) فلا نبي بعده (صلوات الله عليهم أجمعين، كلهم كانوا مخبرين) عن الغيوب

---

(١) الخطيب الشربيني (٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م) محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة. له تصانيف، منها: (السراج المنير) أربعة مجلدات في تفسير القرآن، و(الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع) مجلدان في الفقه، و(شرح شواهد قطر الندى) في النحو، و(مغني المحتاج) أربعة أجزاء في شرح منهاج الطالبين للنووي في الفقه، و(تقريرات على المطول) في البلاغة، و(مناسك الحج).

نَاصِحِينَ صَادِقِينَ مُبَلِّغِينَ آمِرِينَ نَاهِينَ أُمَنَاءَ ٱللَّهِ تَعَالَى، مَعْصُومِينَ مِنَ الزِّلَلِ وَالْكَبَائِرِ؛ وَمَحَبَّتُهُمْ شَرْطُ الْإِيمَانِ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَمْ مِنْ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ؟ (فالجواب) سِتَّةٌ: آدَمُ، .....

كالساعة وأحوالها من البعث والنشر والحشر والحساب والجزاء والحوض والشفاعة والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك. (ناصحين) أي مصفين العمل من شوائب الفساد ولا يغشون قومهم. (صادقين) في أخبارهم وفي دعواهم. (مبلغين) أي موصلين الأحكام التي أُمِرُوا بتبليغها إلى الأمم إليهم، إذ هم مأمورون بالتبليغ. (آمرين) على الطاعات لله عز وجل. (ناهين) عن المعاصي. (أمناء الله تعالى) على وحيه الخفي، وهو الذي لم يظهر إلا على ألسنة الرسل، وهو إعلام الله تعالى أنبياءه بما شاء بكتاب أو بإرسال ملك أو بمنام أو إلهام، أو بلا واسطة كما وقع لنبينا ﷺ ليلة الإسراء من فرض الصلاة بلا واسطة. (معصومين من الزلل) أي الخطايا وهي الصغائر. فالزلل بكسر الزاي: جمع زلة، قاله محمد الجوهري في شرح الجزائرية؛ وأما الزلل بفتحها: فهو مصدر زل يزل من باب علم وضرب، كما في القاموس والمصباح. (والكبائر) أي أن الله تعالى حفظ بواطنهم وظواهرهم عن التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة ولو حالة الطفولية؛ كما قال أحمد الدردير[1]. والذي عليه الجمهور وهو الصحيح: أنهم معصومون من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها، فعصمتهم واجبة؛ كما قاله أحمد البيلي[2]. (ومحبتهم) بالقلب. (شرط صحة) الإيمان. (وبعضهم كفر).

مسألة: (إذا قيل لك: وكم من أصحاب الشرائع)؟ (فالجواب) أن تقول هم: (ستة: آدم،

---

(١) الدردير (١١٢٧ - ١٢٠١ هـ / ١٧١٥ - ١٧٨٦م) أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، أبو البركات الشهير بالدردير: فاضل، من فقهاء المالكية. ولد في بني عدي (بمصر) وتعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة. من كتبه: (أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك)، و(منح التقدير) مجلدان في شرح مختصر خليل في الفقه، و(تحفة الإخوان في علم البيان).

(٢) البيلي (١١٤١ - ١٢١٣ هـ / ١٧٢٨ - ١٧٩٨م) أحمد بن موسى بن أحمد بن محمد، أبو العباس البيلي العدوي: فقيه مالكي. ولد في (بني عدي) بصعيد مصر. وتفقه بالأزهر، وولي فيه مشيخة رواق الصعايدة بعد وفاة أحمد الدردير. وتصدر للتدريس. قال الجبرتي: كانت له قريحة جيدة وحافظة غريبة، يملي على الطلبة ما ذكره أرباب الحواشي، وقد جمع بعض ما أملاه فصار مجلدات. توفي بالقاهرة. من كتبه: (المنح المتكفلة بحل ألفاظ القصيدة الموسومة بمورد الظمآن في صناعة البيان)، و(فائدة الورد في الكلام على أما بعد)، و(منظومة في العرف)، و(منظومة في همزة الوصل)، و(شرح أبيات) من نظمه في التاريخ، بدأها بالسيرة النبوية، و(حاشية على الشرح الصغير للملوي على السمرقندية)، و(منظومة) في مسائل فقهية على مذهب مالك.

وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؛ وَكُلُّ شَرِيعَةٍ مَنْسُوخَةٌ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؟ (فالجواب): مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ.

ونوح) وعمره ألف سنة وأربعمائة وخمسون سنة (وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين).

فرع: قال ابن عباس وقتادة: وأولو العزم أي الثبات والجد في الأمور خمسة، وهم أصحاب الشرائع وهم: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح. ونظمهم بعضهم في بيت [من الطويل] فقال:

مُحَمَّدٌ إِبْرَاهِيمُ مُوسَى كَلِيمُهُ * وَعِيسَى وَنُوحٌ هُمْ أُولُو الْعَزْمِ فَاعْلَمِ [1]

وقال مقاتل: وأولو العزم ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر في الجب والسجن، وأيوب صبر على الضر.

(وكل شريعة منسوخة) أي مزال حكمها (بشريعة) سيدنا (محمد ﷺ) إذا لم تكن موافقة لشريعته ﷺ. فقد كان من شريعة آدم عليه السلام تزويج الأخ من أخته التي ليست توأمته، وقد اتفقوا على تحريمه بعد آدم عليه السلام، كما قاله محمد الجوهري. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [2].

مسألة: (إذا قيل لك: وكم من الأنبياء)؟ (فالجواب) أن تقول: هم في رواية: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي) قال أحمد الدردير: والأولى ترك حصرهم في عدد مُعَيَّنٍ، لأنه لا يؤمن في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم، لجواز أن يذكر أكثر من الواقع، أو يخرج منهم من هو منهم إن كان العدد أقل؛ وما روي أن النبي ﷺ سئل عن عددهم، فقال: «مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا» وفي رواية: «مِائَتَا أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا» فخبر آحاد لا يفيد القطع، ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات.

---

(١) الهاء في "كليمه" ضمير عائد إلى الله تعالى؛ والميم في "فاعلم" مكسورة للوزن.

(٢) سورة ال عمران [٣] الآية: ٨٥

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَمْ كَانُوا مِنَ ٱلأَنْبِيَاءِ ٱلْمُرْسَلِينَ؟ (فالجواب): ثَلاَثُمِائَةٍ وَثَلاَثَةَ عَشَرَ مُرْسَلاً.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَأَسْمَاؤُهُمْ وَعَدَدُهُمْ شَرْطُ ٱلإِيمَانِ أَمْ لاَ؟. (فالجواب): لَيْسَ عِنْدَنَا شَرْطُ ٱلإِيمَانِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾

مسألة: (إذا قيل لك: وكم كانوا من الأنبياء المرسلين)؟ (فالجواب) أن تقول: هم في رواية: (ثلاثمائة وثلاثة عشر مرسلاً) كعدد أهل بدر، وفي رواية: وأربعة عشر كعدد جيش طالوت الذين صبروا معه على قتال جيش جالوت، وفي رواية: وخمسة عشر. وروي أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف نبي: أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس. والفرق بين الرسول والنبي: أن الرسول هو من أُمِرَ بتبليغ الأحكام إلى المرسل إليهم، والنبي من لم يُؤْمَرْ بذلك بل أمر بتبليغ أنه نبي ليحترم.

مسألة: (إذا قيل لك: وأسماؤهم) أي المرسلين (وعددهم) أي حفظهم علينا (شرط الإيمان أم لا)؟ (فالجواب) أن تقول: (ليس) ذلك المذكور من حفظ الأسماء والعدد (عندنا بشرط الإيمان) أي في صحته وكماله، (لقوله تعالى) في سورة غافر: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً ﴾ أي بكثرة ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ يا أشرف الخلق إلى أممهم ليبلغوا عنا ما أمرناهم به ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أي الرسل ﴿ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ أي أخبارهم ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [1] أي لا أخبارهم ولا ذكرناهم لك بأسمائهم وإن كان لنا العلم التام والقدرة الكاملة.

وإذا ثبت أن الرسل لم يجب علينا معرفة عَدِّهِمْ مع قلتهم، فمعرفة غير الرسل من الأنبياء أولى لكثرتهم. ولكن يجب الإيمان بوجودهم تفصيلاً فيما علم كذلك، وهم الخمسة والعشرون الذين هم في القرآن، وهم: محمد، وآدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإليسع، وذوالكفل، وإلياس، ويونس، وأيوب، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وداود، وسليمان، وشعيب، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى.

ومعنى وجوب الإيمان بهؤلاء بالتفصيل: إنه لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته ولو لم يحفظ أسماءهم، فإن الحفظ لا يجب؛ فمن أنكر نبوة واحد من هؤلاء أو رسالته فقد كفر، لكن العامي لا يحكم عليه بالكفر إلا إن أنكر بعد تعلمه. ويجب الإيمان

---

(١) سورة غافر [٤٠] الآية: ٧٨

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَيْفَ تُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ (فالجواب): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمِيتُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ، إِلاَّ مَنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيُحْيِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى .....

إجمالاً في غير هؤلاء، بأن يصدق بوجودهم ونبوتهم وإرسالهم ويصدق أن الله ﷻ رسلاً وأنبياء؛ فمن لم يؤمن بهم كذلك لم يصح إيمانه، فيكون كافرًا.

والمختلف في نبوتهم ثلاثة: ذو القرنين، والعزير، ولقمان؛ واختلف في الخضر أيضًا، فقيل: إنه نبي ورسول، وقيل: نبي فقط، وقيل: ولي. وهو باق إلى الآن، أعطي علم الشريعة والحقيقة، ويجتمع مع إلياس كل سنة بمكة، ويشربان من ماء زمزم شربة إلى العام القابل، وطعامهما الكرفس، فإلياس موكل بالبر، والخضر موكل بالبحر. كذا قاله عيسى البراوي وأحمد البيلي والشيخ يوسف السنبلاويني.

مسألة: (إذا قيل لك: وكيف تؤمن باليوم الآخر) أي بوجوده؟ فأوله من النفخة الثانية وهي نفخة البعث. وسمي ذلك اليوم الآخر لأنه آخر أيام الدنيا، وسمي أيضًا بالقيامة لقيام الناس فيه من قبورهم ووقوفهم بين يدي رب العالمين. **(فالجواب)** أن تقول: **(إن الله تعالى يميت الخلائق)** أي جميع الحيوانات من ذوي الروح **(كلهم)** قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[1]. الموت لا يكون إلا بالأجل، وهو الوقت الذي كتب الله في الأزل انتهاء حياته فيه؛ فلا يموت أحد بدونه، مقتولاً كان أو غيره، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً ﴾[2] أي وما كان لنفس أن تموت إلا بقضاء الله ومشيئته، أو بإذنه لملك الموت في قبضه روحه؛ كتب الله ذلك الموت كتابًا مؤقتًا، لا يتقدم ولا يتأخر.

(إلا من كان في الجنة والنار) ثم يُحْيِي الله الميت بإعادة الروح إلى جميع البدن، لأجل سؤال الملكين منكر ونكير. وبعد السؤال يخرج منه الروح، ويعذب من أراد تعذيبه، بأن يخلق الله في الميت نوع حياة بسبب اتصال الروح بجسده كاتصال شعاع الشمس بالأرض، بقدر ما يدرك الألم، فيتألم الروح مع الجسد وإن كان خارجًا منه. والكافر عذابه دائم إلى يوم القيامة؛ ويُرْفَعُ عن المؤمن العذاب في يوم الجمعة وفي شهر رمضان لحرمة النبي ﷺ، وإن مات يوم الجمعة أو ليلته يكون العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر كذلك، ثم ينقطع ولا يعود إلى يوم القيامة. **(ويحييهم الله تعالى)** بعد فنائهم بإعادة أرواحهم إلى أجسادهم، قال تعالى:

---

(١) سورة آل عمران [٣] الآية: ١٨٥ (٢) سورة آل عمران [٣] الآية: ١٤٥

وَيَحْشُرُهُمْ وَيُحَاسِبُهُمْ .....

﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (١) ويكون الإحياء بنفخة البعث بعد إماتتهم بنفخة الصعق، وبين النفختين أربعون سنة. قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (٢).

(و) بعد إحيائهم يسوقهم حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً (٣) إلى أرض المحشر، أرض بيضاء لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، و(يحشرهم) أي يجمعهم للعرض والحساب، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ (٤) (ويحاسبهم) قال الله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٥) فمنهم من يحاسب حسابًا شديدًا على رءوس الأشهاد لفضيحته، وهو من يعطى في ذلك اليوم كتاب عمله الذي كتبته الملائكة الحفظة أيام حياته من وراء ظهره وهو الكافر أو المنافق، فَتُغَلُّ يُمْنَاهُ إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه؛ ومنهم من لا يحاسبه الله على يد أحد من الملائكة ولا غيرهم، سترًا على ذلك المحاسب. وإنما يحاسبه المولى بينه وبينه، ويعرض عمله عليه بأن يقول له: هذه أفعالك التي فعلتها في دار الدنيا، وسترتها عليك، واليوم أغفرها. وهو من يعطى في ذلك اليوم كتاب عمله من أمامه، وهو المؤمن المطيع. وكُتُب الأعمال جعلت بعد موت صاحبها في خزانة تحت العرش، فإذا كانوا في الموقف بعث الله ريحًا فتطيرها، فكل صحيفة تلتصق بعنق صاحبها لا تتجاوزه، ثم تأخذها الملائكة من الأعناق فيعطونها إليهم في أيديهم فيأخذونها.

وأول من يأخذ كتابه بيمينه عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس، وأما أبو بكر فهو رئيس السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فهم لم يأخذوا صحائف. وبعد عمر

---

(١) سورة البقرة [٢] الآية: ٧٣

(٢) سورة الزمر [٣٩] الآية: ٦٨

(٣) وفي شرح مسلم: الغرل بضم الغين المعجمة وإسكان الراء معناه: غير مختونين، جمع أغرل وهو الذى لم يختن وبقيت معه غرلته، وهى قلفته، وهى الجلدة التى تقطع فى الختان. والحفاة جمع: حاف، والمقصود: أنهم يحشرون كما خلقوا لاشيء معهم، ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم. وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً» قلت: يارسول الله، النساء والرجال جميعًا؟ ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

(٤) سورة التغابون [٦٤] الآية: ٩

(٥) سورة الأنبياء [٢١] الآية: ٤٧

.....

أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي[١]؛ وأول من يأخذ كتابه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد[٢].

ثم إذا أخذ العبد كتابه وجد حروفه نيرة أو مظلمة على حسب الأعمال الحسنة أو القبيحة؛ وأول خط في الصحائف: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ فإذا قرأه ابْيَضَّ وجهه إن كان مؤمنًا، واسْوَدَّ إن كان كافرًا، وذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[٣].

وقد ورد في الحديث: « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُحَاسِبُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ » بحيث يركب فيه إدراكًا وعقلاً ونطقًا، فيدعى به فترتعد فرائضه، فيقول له: هل بلغت ما فيك لإسرافيل؟ فيقول: بلغت. فيدعى بإسرافيل فترتعد فرائضه خوفًا من الله، فيقول له: ما صنعت فيما روي إليك اللوح؟ فيقول: بلغته لجبريل. فيدعى بجبريل فترتعد فرائضه، فيقول له: ما صنعت فيما رواه إليك إسرافيل؟ فيقول: بلغته إلى الرسل. فيدعى بهم فيقول لهم: ما صنعتم فيما رواه إليكم جبريل؟ فيقولون: بلغناه إلى الناس. فيسألون عن عمرهم: فيم أفنوه؟ وعن شبابهم: فيم أبلوه؟ وعن أموالهم: من أين اكتسبوها؟ وفيم أنفقوها؟ وعن علومهم: ماذا عملوا بها؟ وذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾[٤] ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٥] ثم ينصب الله الميزان، وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال، ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات.

---

(١) وأبو سلمة، اسمه: عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي: أخو النبي ﷺ من الرضاعة وابن عمته برة بنت عبد المطلب؛ كان من السابقين، شهد بدرًا، ومات في حياة النبي ﷺ، مات في جمادى الآخرة سنة أربع بعد أحد، فتزوج النبي ﷺ بعده بزوجته أم سلمة، وكان لها منه زينب وعمر.

(٢) وأول آخذ له بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد، لأنه أول المبادرين للنبي ﷺ بالحرب يوم بدر. وروى أنه يمد يده ليأخذه بيمينه، فيجذبه الملك فيخلع يده، فيأخذه بشماله من وراء ظهره.

(٣) سورة ال عمران [٣] الآية: ١٠٦

(٤) سورة الأعراف [٧] الآية: ٦ ـ ٧

(٥) سورة الحجر [١٥] الآية: ٩٢ ـ ٩٣

وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ الْمَلاَئِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَإِنَّهُمْ يَتَلاَشَوْنَ، فَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ بَعْدَ الْحِسَابِ؛ .....

(ويحكم بينهم بالعدل) وأول ما يقضى في الموقف الصلاة، ثم بعدها الدعاوي من قتل نفس بغير نفس. ثم يساقون إلى الصراط، وهو: جسر ممدود على متن النار بين الموقف والجنة فإن النار بينهما، أرق من الشعرة وأَحَدُّ من السيف، فهو مثل الموسى. فالناجون يجوزونه كلمحة البصر، ثم كالبرق، ثم كالريح، ثم كالطير، ثم كالخيل، ثم من يجوزونه سعيًا، ثم مشيًا، ثم حَبْوًا، ثم زَحْفًا فهم يتفاوتون كالهالكين. فمنهم من يكب بأول قدم، وهو الذي يكون آخر الخارجين من النار؛ ومنهم من يكب عند آخر قدم، فيكون أول الخارجين منها. وتفاوت المرور بحسب التفاوت في الأعمال الصالحة والإعراض عن حرمات الله تعالى إذا خطرت على القلوب. وأول من يأتي إلى النار قَابِيلُ الذي قتل أخاه هَابِيلَ بغير حق، لأنه أول من أظهر هذه الخصلة. وهذا أول من يدخلها من الإنس، وإبليس هو أول من يدخلها من الجن.

(فمن كان) أي فالذي وجد (من غير الملائكة والجن والإنس فإنهم يتلاشون) أي يموتون، لكن لا يموت أحد من الملائكة قبل النفخة الأولى بل بها، إلا حملة العرش والملائكة الأربعة، فإنهم يموتون بعدها ويحيون قبل النفخة الثانية. وآخر من يموت ملك الموت كذا قال الشرقاوي؛ وقيل: أن حملة العرش لا يموتون، لأنهم خلقوا للبقاء.

(فمن كان فاسقًا) أي خارجًا عن أمر الله بارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة ولم تغلب طاعاته على معاصيه. (لم يبق في النار بعد الحساب) أي بعد فراغ مقدار ذنبه، لأن ذلك لا يخرجه عن الإيمان إلا إذا اعتقد حل المعصية. سواء كانت كبيرة أم صغيرة، لأن الإيمان عند الأشاعرة ومحققي الماتريدية[1] تصديق بالقلب فقط؛ وأما الإقرار من القادر فهو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية التي من جملتها وجوب اعتقاد أنهم غير مخلدين في النار.

(١) الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. ومن أبرز رجالها: أبو الحسنعلي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (٢٦٠ ـ ٣٢٤ هـ/ ٨٧٤ ـ ٩٣٦ م). والماتريدية: فرقة كلامية، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. ولم تُعرف الماتريدية بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها، كما لم تعرف الأشعرية وتنتشر إلا بعد وفاة أبي الحسن الأشعري. مؤسسها: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (٣٣٣هـ / ٩٤٤ م).

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدُونَ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ .....

وإذا كان الإيمان هو التصديق، لزم أن لا يخرج العبد عن الاتصاف به إلا بما ينافيه من الكفر، وهو عدم التصديق بما علم ضرورة مجيء النبي ﷺ به، أو الامتناع من شرطه وهو النطق بالشهادتين مع القدرة. وكما أن العصاة من المؤمنين لا خلود لهم في النار كذلك الشفاعة لا تصل للكفار. قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[1].

وللرسل شفاعات غير محصورة، أعظمها الشفاعة التي ردها الرسل، وهي الشفاعة لانقاذ الخلق من خوف شديد ومن فزع. ولقبت هذه الشفاعة بالعظمى لكونها تعم الخلق أجمع، وبالمقام المحمود أيضًا لكونه يحمده ﷺ فيها الأولون والآخرون[2]؛ ثم الشفاعة في إدخال قومٍ الجنةَ بغير حساب، وهذه من خصائصه ﷺ كالتي قبلها؛ ثم الشفاعة فيمن استحقوا دخول النار فلم يدخلوها؛ ثم الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة؛ ثم الشفاعة في قوم من الصلحاء ليتجاوز الله عنهم في تقصيرهم في الطاعات؛ ثم الشفاعة في إخراج من أدخل النار من الموحدين، وهذه لا تختص به ﷺ بل يشاركه فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون؛ ثم الشفاعة في تخفيف العذاب لمن استحق الخلود في النار في بعض أوقات كأبي طالب؛ ثم الشفاعة في أطفال المشركين ليدخلوا الجنة؛ ثم شفاعته ﷺ لمن مات بالمدينة، ولمن صبر على لأوائها، ولمن زاره ﷺ بعد موته، ولمن أجاب المؤذن ودعا له ﷺ بالوسيلة، ولمن صلى عليه ليلة الجمعة ويومها، ولمن حفظ أربعين حديثًا في أمر الدين وعمل بها، ولمن صام شعبان لحبه ﷺ صيامه، ولمن مدح آل البيت وأثنى عليهم.

(وأما المؤمنون) أي الذين ماتوا على دين الإسلام وإن تقدم منهم كفر (ففي الجنة خالدون) ولا يصح أن يدخلوا الجنة ثم يدخلوا النار، لأن من يدخل الجنة لا يخرج منها. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[3]. فالدخول في الجنة إما بدون دخول النار بالمرة، أو بعد دخول النار بقدر الذنب. (وأما الكافرون) من الإنس والجن أي الذين ماتوا على الكفر

---

(١) سورة المدثر [٧٤] الآية: ٤٨

(٢) وكانت هذه الشفاعة في فصل القضاء، أي القضاء الفاصل بين الناس. وذلك إذا اجتمع الخلائق كلهم الإنس والجن وغيرهم من المحشر، سمعوا صوتًا شديدًا من السماء فهالهم ذلك، فتشقق السماء وتنزل ملائكة سماء الدنيا، وهم مثل من في الأرض عشر مرات فيحتاطون بأهل الموقف؛ (وبقية الكلام في كتاب المؤلف: فتح المجيد في شرح الدر الفريد في علم التوحيد).

(٣) سورة الهجر [١٥] الآية: ٤٨

فَفِي النَّارِ خَالِدُونَ، وَلاَ تَفْنَى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَلاَ أَهْلُهُمَا؛ وَمَنْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ فَقَدْ كَفَرَ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: وَكَيْفَ تُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى؟ (فالجواب): ...

وإن عاشوا طول عمرهم على الإيمان (ففي النار خالدون) فلا يزالون فيها معذبين، إما بالحيات أو بالعقارب أو بالضرب أو بغير ذلك.

والحاصل: أن الناس على قسمين: مؤمن، وكافر. فالكافر مخلد فى النار، والمؤمن على قسمين: طائع، وعاص. فالطائع في الجنة، والعاصي على قسمين: تائب، وغير تائب. فالتائب في الجنة، وغير تائب في مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بفضله وكرمه، وذلك ببركة الإيمان والطاعة أو بشفاعة بعض الأخيار، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، صغيرًا كان أو كبيرًا، ثم آخر أمره الجنة فلا يخلد في النار.

(ولا تفنى الجنة) وهي سبعة: فردوس، ثم عدن، ثم خلد، ثم نعيم، ثم مأوى، ثم دار السلام، ثم دار الجلال؛ وكلها متصلة بمقام صاحب الوسيلة ﷺ، ليتنعم أهل الجنة بمشاهدته ﷺ، لأنه ﷺ يظهر لهم منها، فهي مشرقة على أهل الجنة كما أن الشمس مشرقة على أهل الدنيا. (والنار) وطبقاتها سبع: أعلاها جهنم وهي لعصاة المؤمنين، ثم لظى لليهود، ثم الحطمة للنصارى، ثم السعير للصابئين وهم فرقة من اليهود، ثم سقر للمجوس، ثم الجحيم لعبدة الأصنام، ثم الهاوية للمنافقين. (ولا أهلهما) من الحور العين والولدان وخزنة الجنة وملائكة العذاب والعقارب والحيات. وقال الشربيني نقلاً عن النسفي: سبعة لا تفنى: العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار بأهلها والأرواح. اهـ.

واختلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[1] فإن كان معنى كون الشيء هالكًا كونه قابلاً للهلك في ذاته، لأن كل ما عداه تعالى ممكن الوجود قابل للعدم، فهذه السبعة محمولة على هذا المعنى؛ وإن كان معنى كونه هالكًا كونه خارجًا عن كونه منتفعًا به بالأمانة أو تفريق الإجزاء، فهذه مستثناة من الهلاك.

(ومن شك في شيء من هذه الأشياء) المذكورة. (فقد كفر).

مسألة: (إذا قيل لك: وكيف تؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى)؟ (فالجواب) أن

---

(١) سورة القصص [٢٨] الآية: ٨٨

إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ الْخَلاَئِقَ وَأَمَرَ وَنَهَى، وَخَلَقَ اللَّوْحَ وَالْقَلَمَ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَكْتُبَا أَعْمَالَ الْعِبَادِ، فَالطَّاعَةُ بِقَضَاءِ ٱللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ فِي ٱلأَزَلِ وَإِرَادَتِهِ وَأَمْرِهِ وَرِضَائِهِ، .....

تقول: (إن الله) تعالى (خلق الخلائق وأمر) بالطاعات (ونهى) عن السيئات. (وخلق اللوح) وهو لوح من درة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وأصله في حجر ملك، وهو في الهواء فوق السماء. وعن ابن عباس أنه قال: إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعيده واتبع رسله أدخله الجنة. (والقلم) وهو قلم من نور، طوله كما بين السماء والأرض. وعن ابن عباس أنه قال: أول ما خلق الله القلم، ثم قال: له اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو شر، فجرى القلم مما هو كائن إلى يوم القيامة. وروى مجاهد الحديث: أول ما خلق الله تعالى القلم فقال: اكتب المقدر. فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. وإن ما يجري في الناس على أمر قد فرغ منه وذلك هو المراد بقوله رحمه الله تعالى: (وأمرهما أن يكتبا أعمال العباد) قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[1] أي إنا كل شيء من الأشياء المخلوقة صغيرها وكبيرها خلقناه بقدر وقضاء وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدبير محكم، في وقت معلوم، ومكان محدود، مكتوب ذلك في اللوح قبل وقوعه. وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾[2] أي وكل صغير وكبير من الخلق وأعمالهم وآجالهم مكتوب في اللوح المحفوظ من الشيطان ومن الزيادة فيه والنقصان. وروى أنه ﷺ قال: « كَتَبَ ٱللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ عَامٍ »، وقال ﷺ: « لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعَةٍ: يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ».

(فالطاعة) وهي ما يثاب به (بقضاء الله تعالى وقدره في الأزل) أي القدم (وإرادته وأمره ورضائه) ومحبته وتوفيقه وتخليقه. قال بعضهم: القضاء: إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه، والقدر: إيجاده إياها على ما يطابق العلم. فالقضاء بمنزلة الأساس، والقدر بمنزلة البناء؛ والقضاء بمنزلة آلة الكيل، والقدر بمنزلة آلة المكيل؛ والقضاء بمنزلة ما أعد للبس،

(١) سورة القمر [٥٤] الآية: ٤٩

(٢) سورة القمر [٥٤] الآية: ٥٣

وَالْعِصْيَانُ بِقَضَاءِ ٱللَّهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ وَإِرَادَتِهِ فِي ٱلأَزَلِ وَلَيْسَ بِأَمْرِهِ وَلاَ بِرِضَائِهِ؛ وَهُمْ يُثَابُونَ وَيُعَاقَبُونَ، وَكُلُّ ذٰلِكَ بِوَعْدِهِ تَعَالَى وَوَعِيدِهِ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: آلإِيمَانُ يَتَجَزَّأُ أَمْ لاَ؟ .....

والقدر بمنزلة اللبس؛ والقضاء بمنزلة تصوير النَّقَّاش الصورة في ذهنه، والقدر بمنزلة رسمها. (والعصيان) وهو ما يعاقب عليه (بقضاء الله تعالى وقدره وإرادته) أي مشيئته (في الأزل) أي القدم وتخليقه وخذلانه. (وليس بأمره ولا برضائه) ولا بمحبته ولا بتوفيقه.

واعلم أن مدلول الأمر غير مدلول الإرادة، فقد ينفك الأمر عن الإرادة، كما إذا قتل ابن الحاكم رجلاً عمدًا، فإن الحاكم يأمر بقتل ابنه ولا يكون مريدًا له؛ ومعنى الرضا: قبول الشيء والإثابة عليه أو ترك التعذيب عليه. وأما المباحات فليست بأمره تعالى، فكل ما علم الله تعالى أنه يوجد أراد وجوده، سواء أمر به أو لم يأمر.

ثم اعلم أن الكافر مأمور بالعمل، كما هو مأمور بالإيمان. وهذا عند الشافعية خلافًا للحنفي حيث قال: إن الكافر لا يكون مأمورًا بالعمل، بل هو مأمور بالإيمان، ودليله قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ٱتَّقُوا ﴾[1] بناء على أن تفسير هذه الآية عنده: يا أيها المؤمنون أطيعوا، ويا أيها الكافرون آمنوا، ويا أيها المنافقون أخلصوا. فإن الناس على ثلاثة أصناف: مؤمن مخلص في إيمانه وهو الذي يقر باللسان ويصدق بالجنان ويعمل بالأركان، وكافر جاحد في كفره وهو الذي لم يقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه، ومنافق مداهن في نفاقه وهو الذي أقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه وداهن مع المؤمنين.

(وهم يثابون) على الطاعة (ويعاقبون) على العصيان. (وكل ذلك) أي الثواب والعقاب (بوعده تعالى) في الطاعة (ووعيده) في العصيان. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ أي قيامه بين يدي ربه ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[2]

مسألة: (إذا قيل لك: آلإيمان) أي أصله (يتجزأ) أي يقبل القسمة بأن يجعل أجزاء (أم لا) قوله: آلإيمان بمد الهمزة، إذ أصله: أألإيمان بهمزتين، فقلبت الثانية ألفًا فتمد مدًّا لازمًا.

---

(١) سورة النساء [٤] الآية: ١

(٢) سورة النازعات [٧٩] الآية: ٣٧ ـ ٤١

(فالجواب): ٱلإِيمَانُ لاَ يَتَجَزَّأُ، لأَنَّهُ نُورٌ فِي الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالرُّوحِ مِنْ بَنِي آدَمَ، إِذْ هُوَ هِدَايَةُ ٱللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، فَمَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِنْهَا فَقَدْ كَفَرَ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: مَالْمُرَادُ بِالإِيمَانِ؟ (فالجواب): ٱلإِيمَانُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّوْحِيدِ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ وَحُبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَحُبُّ الْكُتُبِ وَحُبُّ الرُّسُلِ وَحُبُّ الْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَى وَغَيْرُ ذٰلِكَ مِنَ ٱلأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَهُوَ مِنَ ٱلإِيمَانِ أَمْ لاَ؟ (فالجواب): لاَ، لأَنَّ ٱلإِيمَانَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ شَرْطٌ مِنْ شَرَائِطِ ٱلإِيمَانِ.

(فالجواب) أن تقول: (الإيمان لا يتجزأ، لأنه) أي الإيمان (نور في القلب والعقل والروح من بني آدم، إذ هو) أي الإيمان (هداية الله تعالى عليه) أي المؤمن. (فمن أنكر) أي جحد (شيئًا منها) أي من كون الإيمان هداية الله تعالى (فقد كفر).

مسألة: (إذا قيل لك: ما المراد بالإيمان) الذي هو نور وهداية من الله تعالى؟ (فالجواب) أن تقول: (الإيمان عبارة عن التوحيد) وحَدُّ التوحيد عند علماء الكلام: إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً. ويقال أيضًا هو: اعتقاد ما يجب لله ورسله وما يجوز وما يستحيل؛ وأما عند أهل التصوف فهو: أن لا يرى إلا الله تعالى. بمعنى: أن كل فعل وحركة وسكون واقع ذلك في الكون فمن الله تعالى وحده لا شريك له، لا يرون لغيره تعالى فعلاً أصلاً، وقد يراد بالإيمان: علامته، كقوله ﷺ لقوم من العرب قدموا عليه ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا ٱلإِيمَانُ بِٱللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ».

مسألة: (إذا قيل لك: الصلاة) أي الخمس (والصوم) أي في رمضان (والزكاة) أي للأموال والأبدان (وحب الملائكة وحب الكتب) أي السماوية التي أنزلها الله على بعض الرسل (وحب الرسل) والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (وحب القدر خيره وشره من الله تعالى وغير ذلك من الأمر والنهي واتباع سنة النبي ﷺ، أهو) أي المذكور (من الإيمان) أي من حقيقته وأصله (أم لا)؟ (فالجواب) أن تقول: (لا) أي إن ذلك ليس من حقيقة الإيمان وأصله، بل هو فرع الإيمان (لأن الإيمان عبارة عن التوحيد) كما تقدم (وما سوى ذلك) أي المذكور (شرط من شرائط الإيمان) وشعبة من شعب الإيمان، لأن من شرط صحة الإيمان: حب الله

.....

وملائكته وأنبيائه وأوليائه وخوف عذاب الله ورجاء رحمة الله وتعظيم أمر الله ونهيه وبغض أعداء الله وهم الكفار؛ وأما الصلاة والصوم والزكاة والحج فهي شرط كمال على المختار عند أهل السنة[1]. فمن تركها واعتقد وجوبها عليه أو ترك واحدًا منها كذلك، فهو مؤمن كامل في جريان أحكام المؤمنين في الدنيا والآخرة، لأن مرجعه إلى الجنة وإن دخل النار إن لم ينل شفاعة من أحد الشافعين أو غفرانًا من الله تعالى، وهو مؤمن ناقص من جهة ضعف الإيمان بتركه لبعض المأمورات؛ وإن تركها معاندًا للشرع أو شاكًّا في وجوبها فهو كافر إجماعًا، وكذا إن ترك واحدًا منها كذلك لأنها معلومة من أدلة الدين بالضرورة.

واعلم أن أمور الدين أربعة:

أولها: صحة العقد، بأن تعتقد اعتقادًا صحيحًا خاليًا عن الترديد والشبه من ضلالات أهل الأهواء.

وثانيها: صدق القصد، بأن تكون صادقًا في قصدك، لقوله ﷺ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ».

وثالثها: الوفاء بالعهد، فإذا عاهدت عهدًا تفي به لئلا يكون فيك خصلة من النفاق، لأن من خصال المنافق إذا عاهد غدر.

ورابعها: اجتناب الحد بأن تجتنب المعاصي كلها.

تنبيه: فلو قيل لك: الكفر يكون بقضاء الله تعالى وقدره، والرضا بالقضاء والقدر واجب، والرضا بالكفر كفر، فكيفية اجتماع الواجب والكفر؟ قلت: الكفر مُقْضًى ومقدور، لا قضاء وقدر، والرضا إنما يجب بالقضاء والقدر دون المقضى والمقدور، وأيضًا الشيء المخالف للشرع يكرهه العبد من حيث ذاته، وأما من حيث كونه مقضيًا فيرضى به، بمعنى: لا يعارض

---

(١) أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الذين أخبر النبي ﷺ عنهم بأنهم يسيرون على طريقته وطريقة أصحابه الكرام دون انحراف؛ فهم أهل الإسلام المتبعون للكتاب والسنة، المجانبون لطرق أهل الضلال. كما قال ﷺ: « إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً» فقيل له: ما الواحدة ؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» حديث حسن أخرجه الترمذي وغيره. وقد سموا (أهل السنة) لاستمساكهم واتباعهم لسنة النبي ﷺ، وسموا (بالجماعة) لقوله ﷺ في إحدى روايات الحديث السابق: (هُمُ الْجَمَاعَةُ) ولأنهم جماعة الإسلام الذي اجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا في الدين، وتابعوا منهج أئمة الحق، ولم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور العقيدة؛ وهم أهل الأثر، أو أهل الحديث، أو الطائفة المنصورة، أو الفرقة الناجية.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: اْلإِيمَانُ بِصِفَةِ الطَّهَارَةِ أَمْ لاَ؟ (فالجواب): اْلإِيمَانُ بِصِفَةِ الطَّهَارَةِ وَالْكُفْرُ بِصِفَةِ الْحَدَثِ، وَيَنْتَقِضُ بِهِ جَمِيعُ الْجَوَارِحِ.

(مسألة) إِذَا قِيلَ لَكَ: اْلإِيمَانُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ (فالجواب): اْلإِيمَانُ هِدَايَةٌ مِنَ اللّٰهِ تَعَالَى، وَالتَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ تَعَالَى، وَاْلإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ. فَالْهِدَايَةُ صُنْعُ الرَّبِّ، وَهُوَ قَدِيمٌ؛ وَالتَّصْدِيقُ وَاْلإِقْرَارُ فِعْلُ الْعَبْدِ، وَهُوَ مُحْدَثٌ، وَكُلُّ مَا جَاءَ عَنِ الْقَدِيمِ يَكُونُ قَدِيمًا، وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الْمُحْدَثِ يَكُونُ مُحْدَثًا.

على مراد الله تعالى فيه ولا يكلف العبد بمحبته ولو من حيث إنه مقضى، وإنما هو مكلف بترك الاعتراض على الله واعتقاد الحكمة على ذلك والعدل على الله.

مسألة: (إذا قيل لك: الإيمان بصفة الطهارة أم لا)؟ (فالجواب) أن تقول: (الإيمان) متلبس (بصفة الطهارة) فيصح به جميع الأعمال، (والكفر بصفة الحدث) أو بصفة النجس كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[1] أي في اعتقادهم دون أبدانهم. (وينتقض) أي يبطل (به) أي الكفر (جميع الجوارح) أي الأعمال التي يعملها بأعضائه، لكن لو أسلم الكافر أُثيبَ على ما فعله من القرب التي لا تحتاج إلى نية كصدقة وصلة وعتق وتحكم بالصحة من حينئذ كما نقله الونائي عن النووي. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2] أي ومن يَرْتَدَّ عن الإيمان فقد بطل عمله الصالح قبل ذلك، فلا يُعْتَدُّ به ولا يثاب عليه ولو عاد إلى الإسلام، وهو في الآخرة من الخاسرين إذا مات على الكفر. والمعنى: ومن يكفر بكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فقد فسد عمله الصالح؛ أما من أسلم قبل الموت، فإن ثوابه يفسد دون عمله؛ فلا يجب عليه إعادة حج قد فعله ولا صلاة قد صلاها قبل الردة.

مسألة: (إذا قيل لك: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق)؟ (فالجواب) أن تقول: (الإيمان هداية من الله تعالى، والتصديق بالقلب بما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى، والإقرار) بالشهادتين (باللسان. فالهداية صنع الرب، وهو قديم؛ والتصديق والإقرار) كل منهما (فعل العبد وهو محدث) بفتح الدال أي موجد بعد العدم. (وكل ما جاء من القديم يكون قديمًا) غير مخلوق (وكل ما جاء من المحدث يكون محدثًا).

---

(١) سورة التوبة [٩] الآية: ٢٨ (٢) سورة المائدة [٥] الآية: ٥

.....

وقال الشيخ أبو معين النسفي: لا يقال إن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، بل يقال: إن الإيمان من العبد: الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، ومن الله تعالى: الهداية والتوفيق. وقال بعضهم: لا يجوز أن يكون الإيمان اسمًا للهداية والتوفيق وإن كان لا يوجد إلا بهما، لأن العبد مأمور به، والأمر إنما يكون فيما هو داخل تحت قدرة العبد، وما كان كذلك يكون مخلوقًا.

وقال الباجوري[1]: الصواب أن الإيمان مخلوق، لأنه إما تصديق بالجنان أو هو مع الإقرار باللسان، وكل منهما مخلوق. وما يقال من أنه قديم باعتبار الهداية خروج عن حقيقة الإيمان على أن الهداية حادثة. نعم، إن نظرنا إلى أن الإيمان بالقضاء الأزلي، صح أن يقال: إنه قديم. أهـ. وقال محمد الخليلي نقلاً عن الشمس الرملي[2]: والإيمان عند جمهور المحققين: تصديق القلب بما علم ضرورة مجيء الرسول ﷺ به من عند الله تعالى؛ وأما الإقرار باللسان فإنما هو شرط لإجراء الأحكام في الدنيا. وقيل: إنه الإقرار والتصديق معًا، وقيل: إنه الإقرار والأعمال. وعلى كل قول منها هو مخلوق، لأنه فعل العبد المخلوق لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

وأما قول أبي الليث السمرقندي في جواب أنه مخلوق أو لا؟ الإيمان إقرار وهداية، فالإقرار صنع العبد وهو مخلوق، والهداية صنع الرب وهو غير مخلوق، ففي ذلك تَسَمُّحٌ، لأن هداية الله تعالى للعبد سبب الإيمان لا جزء منه، والمسئول عنه نفس الإيمان لا هو وسببه معًا. والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الباجوري (١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ / ١٧٨٤ - ١٨٦٠م) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: شيخ الجامع الأزهر. من فقهاء الشافعية. نسبته إلى الباجور (من قرى المنوفية، بمصر) ولد ونشأ فيها، وتعلم في الأزهر، وله كتب وحواشي كثيرة. تقلد مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣ هـ، واستمر إلى أن توفي بالقاهرة.

(٢) شمس الدين الرملي (٩١٩ - ١٠٠٤ هـ / ١٥١٣ - ١٥٩٦م) محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي: فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى. يقال له: الشافعي الصغير. نسبته إلى الرملة (من قرى المنوفية بمصر) ومولده ووفاته بالقاهرة. وَلِيَ إفتاء الشافعية. وجمع فتاوى أبيه. وصنف شروحًا وحواشي كثيرة، منها: (عمدة الرابح) شرح على هدية الناصح في فقه الشافعية، و(غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان)، و(نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج) في الفقه الشافعي، وله (فتاوى شمس الدين الرملي).

(٣) سورة الصافات [٣٧] الآية: ٩٦